

الأعمال البليوجرافية

تعريفها:

هي تلك الكتب التي تحصر الإنتاج الفكري لمؤلف ما، أوفي موضوع ما أوفي مكان ما أوفي وقت ما.

نشأة الأعمال البليوجرافية العربية:

على الرغم من أن علم البليوجرافيا لم يعرف في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر، إلا أن العرب قد عرفوه منذ القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري وصنفوا فيه وإن لم يسموه بتلك التسمية. ففي سنة ٣٧٧هـ ألف ابن النديم كتابه " الفهرست " ليكون . كما قال ابن النديم في مقدمته . "فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، والموجود منها بلغة العرب....." وكتاب ابن النديم . كما ذكر الأستاذ الدكتور عبد الستار الطلوجي . في صورته التي وصلنا عليها برغم كل ما فيها من مظاهر النقص والقصور لا يمكن إلا أن تكون ثمرة جهود متصلة ومحاولات سابقة أصغر منه حجما وأضيق مجالاً. فقد أراد ابن النديم لكتابه أن يكون مصدرا لكل ما ألف في اللغة العربية وكل ما ترجم إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة ٣٧٧هـ. وعمل ترسم حدود بهذا الاتساع والشمول لا يمكن أن يكون باكورة الأعمال البليوجرافية العربية. وفعلا وقبل فهرست ابن النديم كان هناك نشاط بليوجرافي عربي لحصر الإنتاج الفكري، تمثل هذا النشاط في:

(١) فهارس الشيوخ

فهارس الشيوخ تمثل أولى المحاولات العربية لإعداد الأعمال الببليوجرافية، حيث كان العالم يقوم بحصر الكتب التي درسها، وكان الهدف من ذلك في بداية الأمر هو إضفاء الثقة على ذلك العالم وإثبات أهليته للبحث والدراسة والتدريس.

وفى بعض الأحيان كان إعداد مثل هذه الفهارس يتم بواسطة شخص آخر خلاف الشيخ كأن يكون أحد تلاميذه أو المعاصرين له.

(٢) فهارس المؤلفين

هذا النوع من الفهارس يجمع المؤلفات لمؤلف معين، وأغلب الظن . كما ذكر دكتور أحمد تاج . أن العرب قد عرفوا هذا النوع من الفهارس منذ بداية عهدهم بالتدوين والتأليف، والدليل على ذلك ما نجده من ذكر للفهارس في كتاب الحيوان للجاحظ (٢٥٥هـ)، بل إن ابن النديم نفسه قد ذكر في فهرسته بعض فهارس المؤلفين كفهرست الرازي، وهذا دليل آخر على أن فهارس المؤلفين والأعمال الببليوجرافية كانت معروفة لدى العرب قبل ابن النديم وجدير بالذكر ان فهارس المؤلفين هذه، إما أن يعدها المؤلف بنفسه ليحصر كتبه التي قام بتأليفها، كالفهرس الذي قام جابر بن حيان بإعداده ليجمع فيه ما ألفه، وقد يكون فهرس المؤلف فهرس يقوم شخص آخر بإعداده ليجمع فيه ما ألفه شخص آخر كفهرست كتب محمد بن زكريا الرازي الذي أعده البيروني.

هذه النشاطات الببليوجرافية المبكرة والتي تمثلت في فهارس الشيوخ وفهارس المؤلفين مهدت لظهور الأعمال الببليوجرافية المتكاملة.

مبشرات نشأة الببليوجرافيات العربية:

بعد ازدهار الكبير للثقافة العربية الإسلامية، وبعد الزيادة الهائلة في إنتاج الكتب، وبعد التقدم الواضح الذي طرأ على هذا الإنتاج بسبب نشاط الوراقين والنساخ، وبسبب انتشار المكتبات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي . بعد كل هذا ظهرت الحاجة إلى معرفة معلومات عن الكتب الموجودة والمتداولة.

ولتلبية هذه الحاجات بدأ العرب في إعداد البليوجرافيات التي تجمع الكتب لمختلف المؤلفين في مختلف الموضوعات.

نقاط مضيئة في تاريخ البليوجرافيا العربية:

تعتبر المكتبة العربية غنية بمثل هذه الأعمال، والتي من أهمها:

- ١- الفهرست لابن النديم (ت ٣٨٥هـ).
- ٢- مفتاح السعادة لطاشكبري زاده (ت ٩٦٨هـ).
- ٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)
- ٤- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل البغدادي (ت ١٣٤٠هـ).

وقد تم اختيار هذه الكتب بالذات . كما قال الدكتور الحلوجي . لأن كلاً منها تمثل مرحلة متميزة؛ **الفهرست لابن النديم** هو أقدم بليوجرافية شاملة تبين ما وصلت إليه الحياة العقلية الإسلامية في عصر من أزهى العصور في الحضارة الإسلامية وهو عصر بنى العباس، ولولاه لضاعت أسماء كثير من كتب تراثنا وأوصافها كما ضاعت الكتب نفسها ضحية الغزوات الخارجية والفتن الداخلية التي تعرضت لها الأمة الإسلامية.

و**مفتاح السعادة** " مصدر أصيل وانعكاس صادق وأمين للحياة الفكرية للمسلمين بعد الغزو الماغولي التنزي للعالم الإسلامي.

و**كشف الظنون** " ليس أضخم البليوجرافيات العربية وأشملها فحسب، وإنما هو يمثل الرؤية البليوجرافية الواضحة، ويمثل أيضاً الصورة الواقعية للحياة الفكرية العربية حتى القرن الحادي عشر للهجرة، لأن أغلب الكتب التي ذكرها موجودة بالفعل، بخلاف الكتب التي وردت في فهرست ابن النديم والتي فقد معظمها.

كل هذه البليوجرافيات يصدق عليها أنها أعمال عامة لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا موضوع، وإنما هي تستوعب المؤلفات العربية في كل علم وفي كل عصر وفي كل بيئة.

نظم ترتيب البليوجرافيات العربية:

وقد اتبعت هذه الكتب البليوجرافية أساليب متباينة في التنظيم، فبعضها رتب مادته ترتيب موضوعياً، وتحت كل موضوع أسماء الذين ألفوا فيه وعناوين كتب كل منهم كما هو الحال في كتابي: الفهرست ومفتاح السعادة، حيث قسمت مادة الفهرست إلى عشر مقالات، تتناول كل مقالة موضوعاً من موضوعات المعرفة المتاحة في ذلك الزمن، كالصرف والنحو والشعر والأخبار والفلسفة، ووزعت مادة كتاب مفتاح السعادة على طرفين يضمن سبع دوحات تنقسم كل دوحه إلى شعب، وكل شعبة تنفرع إلى علوم، وكل علم ينقسم إلى فروع وهكذا. وأما كشف الظنون وذيله أيضاً المكنون، فالترتيب فيهما هجائي بعناوين الكتب.

عدد المداخل والمادة المرجعية في البليوجرافيات العربية:

اختلفت هذه الببليوجرافيات في عدد الكتب التي تحصيها، فمفتاح السعادة يحصر حوالي ألفي كتاب، بينما يحصر كشف الظنون حوالي ١٥ ألف كتاب، وأما ذيله فيحصر ١٩ ألف كتاب.

كما اختلفت أيضاً في البيانات التي تعطيها عن الكتب ومؤلفيها؛ فالفهرست مثلاً وإن كان يغلب عليه الإيجاز حتى ليكاد يكون سرداً للأسماء المؤلفين وعناوين كتبهم، إلا أننا نجد يصف بعض الكتب ويحدد أحجامها، كأن يقول إن الكتاب ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف ورقة، وهولا يكتفي بذلك وإنما يحدد لنا حجم الورقة التي يعينها فيقول: إنها سليمانية تسع وعشرين سطراً في الصفحة.

وأما كشف الظنون فتتفاوت البيانات فيه عن الكتب تفاوتاً بينا وإن كان في الغالب والأعم يعطي نبذة عن المؤلف متمثلة في بلده وصنعتة وتاريخ وفاته بالأرقام والحروف، وعن موضوع الكتاب ومحتوياته وطريقة تنظيمها، ويذكر بدايته وتاريخ الانتهاء من تأليفه وحجمه، وقد يضيف إلى ذلك بيانات عن سبب تأليف الكتاب وآراء العلماء فيه. وعلى نفس المنوال سار البغدادي في إيضاح المكنون مع شيء من الإيجاز، ومع إضافة معلومتين جديدتين في بعض الأحيان هما: أسماء المكتبات التي يوجد فيها الكتاب وبيان ما إذا كان قد طبع.

وليس هذا هو كل ما نجده بين تلك الأعمال الببليوجرافية من تفاوت فيما تقدمه من معلومات عن الكتب، فبعضها يكتفي بالوصف كما يوضح المكنون، وبعضها الآخر يتجاوز الوصف إلى تقييم الكتب والمؤلفين كما في مفتاح السعادة وبعض المواضع من الفهرست، ومن الأمثلة على ذلك . كما ذكره الدكتور الحلوجي . أننا نجد ابن النديم يصف السري بن أحمد بأنه " شاعر

كثير السرقة عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتتان في التشبيهات والأوصاف
"، ويقول عن كتاب " الأوراق " للصولي إن مؤلفه عول عند تأليفه على كتاب
المريدي في الشعر والشعراء، بل نقله نقلا وانتحله، وقد رأيت دستور الرجل في
خزانة الصولي فافتضح به "

ولقد سبق العرب إلى تقرير مبدأ " رؤية الكتب " كنوع من الضمان
لصحة البيانات التي يذكرونها، وفي فهرست بن النديم الكثير من العبارات التي
تدل على رؤية ابن النديم لهذه الكتب ونفس الشيء نجده عند طاشكبري زاده.
كذلك سبق البليوجرافيون العرب إلى استخدام الإحالات كوسيلة
تنظيمية مساعدة لإرشاد الباحث وتيسير وصوله إلى ما يريد. وأقدم الإحالات
في البليوجرافيات العربية نجدها عند حاجي خليفة في كتاب " كشف الظنون "
ولو أنه لم يتوسع فيها كما كان ينبغي.

وهذه كانت صورة للأعمال البليوجرافية العربية التراثية.

